دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المكراكرز: مهنة تقصي الحقائق قراءة في المفهوم، والتطور، وآليات الانجاز
المصدر:	مجلة آفاق للعلوم
الناشر:	جامعة زيان عاشور الجلفة
المؤلف الرئيسي:	عيونى، نجم الدين
المجلد/العدد:	ع16
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2019
الشهر:	جوان
الصفحات:	221 - 236
رقم MD:	1033508
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, EcoLink, EduSearch
مواضيع:	الصحافة الاستقصائية، التحقيق الصحفي، المكراكرز
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1033508

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تاريخ الارسال:2019/02/24 تاريخ النشر : جوان 2019

المكراكرز: مهنة تقصي الحقائق قراءة في المفهوم، والتطور، وآليات الانجاز.

The Muckrakers: The Truth-Finding Profession Reading the concept, evolution, and mechanisms of achievement.

د. عيوني نجم الدين

جامعة عنابة

aiouni_nedjm@yahoo.fr

ملخص البحث

إن للصحافة اليوم مسؤوليات كبرى إزاء مجتمعاتها، ومن هذه المسؤوليات مساهمتها في عملية نمو وتطور المجتمع والتصدي للمظاهر التي تعترض طريق هـــذا التطـــور، ومحاولة الوصول إلى الحقيقـــة كاملـــة وإيصـــالها إلى الجمهور، بالإضافة إلى ممارسة الـــدور الرقـــابي علـــى المؤسسات بصفة عامة والمؤسسات العمومية خصوصا، والتصدي لمظاهر الفساد والتنقيب عنه، وكشـــف الانتهاكات والانحرافات غير الأخلاقية وغير القانونية، مع ملاحقة وفضح الجرائم المنظمة، وحالات اســـتغلال النفوذ والسلطة، أو كل ما من شأنه الحفاظ على حقوق المجتمع.لعل المتمعن فيما سبق سيتســـاءل حتمـــا عـــن الآليات المتاحة للصحافة بوصفها السلطة الرابعة لرصد الحقائق بما يخدم تطور المجتمع ويحافظ على حقوقه. ومن هنا جاء موضوع هذه الورقة البحثية التي سنحاول من خلالها التعرف على أعلى مراتـــب مهنـــة الصـــحافة وأخطرها إنها: "الصحافة الاستقصائية أو مهنة التنقيب عن الحقيقة"، وذلك من خلال التعرض إلى جـــذورها، وكيفية بروزها وتبلورها، إلى أن وصلت إلى الشـــكل الحالي الذي نعرفه بها، مع التطرق إلى أشكالها وما يميزها عن الأشكال الصحفية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الاستقصائية، التحقيـــق الصحفي، أشكال الصحافة الاستقصائية.

Summary

Today, the press has great responsibilities towards its societies. These responsibilities include contributing to the growth and development process of society, addressing the manifestations of this development, trying to reach the truth and passing it on to the public. By exercising the role of control over the institutions in general and public in particular, fight against corruption and unveil, the detection of violations and immoral and illegal discrepancies, with the prosecution and disclosure of organized crimes, cases of abuse power and influence, or anything that would preserve the rights of society.

Perhaps he who reads the first paragraph will inevitably question the mechanisms available to the press as the fourth authority responsible for exposing the facts or denouncing scandals in the service of the development of society and the preservation of its rights . Hence the subject of this article, or we will try to identify the highest level of the profession of journalism and the most dangerous: it is investigative journalism or the profession of prospecting the truth, we will expose its roots and how it crystallized until it reached the present form as we know it, while addressing its forms and what distinguishes them from other forms of journalism.

1- مقدمة:

أضحت وسائل الإعلام والاتصال ووسائطهما ضرورة لا غنى عنها للفرد والمجتمع والحكومات والأنظمة على اختلاف تنوعاتها وإيديولوجياتها في أنحاء العالم كافة، حتى انه بات من المتعذر تصور وجود واستمرار قطاعات كثيرة في الحياة دون وجود الإعلام والاتصال، وذلك يأتي نتيجة تعاظم دور الإعلام والاتصال في حياة الأفراد والمجتمعات في الحياة المعاصرة، وتعدد وظائف وسائل الإعلام والاتصال، وعمق تأثيرها، وتنوع الخدمات التي تقدمها.

لقد دخلت وسائل الإعلام والاتصال مفاصل حياة الفرد والمجتمع جميعها، واستطاعت من خلال إيمانها بدورها كصوت نابض للمجتمع، والمدافع عن مصالحه، أن تشير إلى الأخطاء وتكشف الفضائح وتلاحق الفساد و المفسدين، وتوجه النقد الايجابي، وتنبه السلطات المختصة إلى كثير من مواطن الخلل والقصور في عمل مؤسسات الدولة أو المؤسسات الخاصة وسواهما.

كما أنها استطاعت أن تسقط رؤوس كبيرة، وتهوي بعروش عديدة، وتذهب بفاسدين كثر إلى السجون والشواهد على ذلك كثيرة ولا يتسع المجال لتعدادها هنا، هذا فضلا عن إسهاماتها المتعددة في تعزيز النشطات و الممارسات الايجابية في ميادين الحياة كافة.

ولعل أهم أشكال وسائل الإعلام والاتصال التي تؤدي الدور المذكور سابقا و تنفرد بخصائص تجعل منها رائدة في هذا المجال هي: الصحافة الاستقصائية، أو صحافة المنقبين على الحقيقة، كما تسمى في العالم الغربي.

2- مشكلة البحث:

استطاعت بعض الصحف العالمية التي اتبعت المنهج الصحفي الاستقصائي أن تكشف فضائح كبرى وانتهاكات خطيرة وحالات فساد وجرائم وانحرافات عديدة كان من نتائجها تصويب الأوضاع وإسقاط زعامات والذهاب بالبعض إلى السجون.

أصبحت الصحافة الاستقصائية اليوم مظهرا بارزا من مظاهر البيئة الصحفية العالمية، وأصبح لها اتحادات ومنظمات دولية وإقليمية ووطنية و مدارس ورواد، وقد استطاعت الصحافة الاستقصائية خلال العقود الأخيرة أن تطور من آلياتها ومنهجها وأهدافها وأدواتها ومصادرها، مستفيدة في ذلك من التطورات التقنية لاسيما في مجال المعلومات والاتصال، وقد تزايد الاهتمام العلمي بالصحافة الاستقصائية نظرا لدورها البارز في التصدي لمظاهر الفساد والانحرافات والاستغلال وإساءة استعمال السلطة.

لكن الغريب في الأمر أن هذا النوع من الصحافة و على أهميته يعد حديثا بالنظر إلى تجربة الصحافة، ووسائل الإعلام الأخرى، خصوصا في العلام العربي، وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى ماهيتها وجذورها وأسباب ظهورها، كما سنحاول معرفة آليات عملها ومرتكزاتها، وما يميزها عن باقي الأشكال الصحفية الأخرى، بالإضافة إلى التعريج على واقعها في العالم العربي، حيث تنطلق الدراسة في هذا البحث من التساؤل الرئيسي التالي:

"هل الصحافة الاستقصائية شكل إعلامي متميز لرصد الحقائق أم مجرد تحقيق صحفي حول الفضائح؟"

وللتفصيل في الموضوع قسمنا هذا الخير إلى التساؤلات الفرعية التالية:

1) ما هي الصحافة الاستقصائية، وكيف ظهرت، وتطورت؟
2) كيف يمكن تمييز الصحافة الاستقصائية عن الأشكال الصحفية الأخرى؟

3) ما هي آليات العمل الصحفي الاستقصائي؟

4) ما هو واقع الصحافة الاستقصائية في العالم العربي؟

4- المنهج المستخدم في البحث:

المنهج الوثائقي وهو عبارة عن نمط من الأبحاث يقوم الباحث فيه بجمع المعلومات والوثائق حول الموضوع الذي يقوم ببحثه، وذلك من خلال عودته إلى عدد من المصادر والمراجع الموثوقة ليستقي منها المعلومات الدقيقة المتعلقة بالبحث، والتي تساهم في الوصول إلى النتائج التي يسعى الباحث لتحقيقها من بحثه. وتنقسم مصادر جمع المعلومات في المنهج الوثائقي إلى قسمين وهما:

المعلومات الأصلية: وهي التي يستقيها الباحث من البحث الأصلي والمنبع الرئيسي لها، وتكون هذه المعلومات صحيحة بشكل أكيد.

المعلومات الثانوية: وهي المعلومات التي يستمدها الباحث من مصادر غير أصلية كالدوريات والمجلات، وقد تكون هذه المعلومات صحيحة، كم من الممكن أن تكون خاطئة.

5- أهداف البحث: تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

- التعرف على ماهية الصحافة الاستقصائية، وكيفية ظهورها، وتطورها.
- مواطن وسبل تمييز الصحافة الاستقصائية عن الأشكال الصحفية الأخرى.
- التطرق إلى آليات العمل الصحفي الاستقصائي.
- فحص واقع الصحافة الاستقصائية في العالم العربي عموما، و في الجزائر خاصة.

6- الإطار المفاهيمي و النظري للبحث:

6-1- مفاهيم الدراسة:

مفهوم الاستقصاء في اللغة: القصو: البعد ، والأقصى: الأبعد. ويقال: تقصاهم أي طلبهم واحداً واحداً.

يتبين من مجمل هذه المعاني أن التقصي هو تتبع الأثر، وكان قص الأثر مهنة معروفة في العصر الجاهلي والعصور الأولى للحضارة الإسلامية، وما زلنا نسمع بتشكيل لجان تقصي الحقائق التي عليها البحث عن حقيقة مشكلة ما بزيارة جميع الأماكن، والاستماع إلى شهادات جميع الأطراف في الموضوع[1].

مفهوم الصحافة الاستقصائية اصطلاحا:

"إنها البحث والتنقيب حول قضية أو موضوع ما والبحث في عمقها، لمعرفة ما وراء المعلومات، فنشر خبر عن مؤتمر سيعقد في مكان ما ليس صحافة استقصائية، بل معرفة أسباب الانعقاد وملابساته، ومعرفة سبب عقده في هذه الأوقات والظروف المحيطة به هو التنقيب والاستقصاء" .

ويعرفها رئيس المركز الدولي للصحفيين بأنها: "سلوك منهجي ومؤسساتي صرف، يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصاً على الموضوعية والدقة وللتأكد من صحة الخبر، وما قد يخفيه انطلاقاً من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاما بدور الصحافة ككلب حراسة على السلوك الحكومي، وكوسيلة لمساءلة المسئولين ومحاسبتهم على أعمالهم، ووفقاً لمبادئ قوانين حق الاطلاع وحرية المعلومات".

ولا تنحصر الصحافة الاستقصائية في محور أو محاور الأداء الحكومي فقط، بل تمتد إلى ما يهم الجمهور من قضايا صحية وبيئية وتعليمية، وقضايا حماية المستهلك، وتجار المخدرات وتجار الدعارة ومهربي الأدوية الفاسدة، وقضايا الجرائم الغامضة، وجرائم غسيل الأموال وغسيل السمعة لرجال الأعمال المنحرفين[2].

والصحافة الاستقصائية تشمل كشف أمور خفية للجمهور، أمور إما أخفاها عمداً شخص ذو منصب في السلطة أو اختفت صدفة خلف ركام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها، وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية، وهي الصحافة القائمة على المعلومات والحقائق بإتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة[3].

صرحت "رنا صباغ" المديرة التنفيذية لـــ «إعلاميون عرب من أجل صحافة استقصائية-أريج»: «إن الصحافة الاستقصائية أفضل طريقة للوصول إلى قلب الحقيقة والخروج من دائرة التأثير المبرمج الذي يتم ضمن حلقات صناعة الإعلام وتمرير المعلومات». وأضافت أن «الصحافة الاستقصائية تكشف التجاوزات والممارسات الخاطئة وتُفعل مبدأ المحاسبة والمساءلة بما يؤدي مبدئيا إلى تصويب الأوضاع»[4].

إن مفهوم الصحافة الاستقصائية حسب ما بثته قناة الجزيرة في برنامج وثائقي بعنوان "ماذا قتل عرفات؟" هو نوع التحقيقات الذي نسميه بالصحافة أو الإعلام الاستقصائي...[5] ، وفيه تشير الدلائل إلى أن قتله كان نتيجة إشعاعات من البولونيوم تم حقنها أو تغذيتها في جسد الرئيس ياسر عرفات، وثبت ذلك من خلال فحص عينات من ملابسه ومقتنياته الشخصية التي كانت تحتفظ بها زوجته منذ ثماني سنوات.

التحقيقات الاستقصائية "investigative journalism" هي أعلى مراتب المهنية الإعلامية ولكن في نفس الوقت هي أصعبها. والصحافة أو الإعلام الاستقصائي هو الذي يحدد قوة ومكانة الإعلام في أي مجتمع. ويجسد التحقيق الاستقصائي دور السلطة الرابعة لوسائل الإعلام في المجتمعات، أو ما يمكن تسميته بوظيفة المراقبة التي تنتهجها وسائل الإعلام في إطار من الاحترافية المطلوبة من مؤسسات الإعلام.

بينما تعرف الصحافة الاستقصائية وفق "كابلن" على أنها نهج منظّم لحدس، يتطلّب الغوص في العمق، والبحث الفعلي الذي يقوم به الصحفي بنفسه، بالإضافة إلى التغطية الصحفية، يتناول طريقة علمية في البحث، معتمدة على وضع فرضية واختبار مدى صحتها، والتأكّد من الحقائق المحاطة بهذه الفرضية، ونبش الأسرار المغمورة، ووضع ركائز العدالة الاجتماعية والمساءلة، بالإضافة إلى الاستخدام المفرط للتسجيلات المعلنة وعادةً ما تكون على شكل بيانات.

أشار "كابلن" إلى اقتباس عن "جوردانا جانكوفيك" من مؤسسات المجتمع المفتوح، والذي من شأنه أن يلخّص هذه الممارسة الدقيقة: "أنت بحاجة لصحفيين قادرين على إيجاد الصلة وإيجاد العلاقة التي تربط بين الأحداث. أنت بحاجة للمصادر والموارد لإيجاد وفضح ما هو غير مكشوف عن قصد"[6].

ليست الصحافة الاستقصائية تغطية عادية لخبر ما، فهي كشف أمور خفية للجمهور إما أخفاها عمدا شخص ذو منصب في السلطة، أو اختفت صدفة خلف رُكام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها، وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية.

"تغطية المشروع" أو الصحافة الاستقصائية ليسا فقط الاسمين اللذين يطلقان على هذا النوع من الصحافة، فأحيانا يتم استخدام مصطلح "تغطية القضايا المتعلقة بالخدمات العامة" بالتبادل مع مصطلح "الصحافة الاستقصائية" فتقارير القضايا

المتعلقة بالخدمات العامة تقارير استقصائية بطبيعتها حيث إنها تتطلب البحث العميق للوصول إلى نتائج تهم وتؤثر على المجتمع، وكذلك فإن الصحافة الاستقصائية دائماً تخدم الجمهور من خلال الكشف عن معلومات هامة.

ويمكن القول هنا بان الصحافة الاستقصائية هي ذلك النوع من الصحافة الأكثر إرضاءً وإثارة وهي أيضاً الأكثر تطلبا فيما يتعلق بالوقت والعمل الجاد، وغالبا ما تتمخض التقارير الإخبارية عن تغييرات حقيقية تؤثر على حياة الناس والتي قد تشتمل في بعض الأحيان على تعديل للقوانين وتقديم المعتدين إلى العدالة وتصحيح أخطاء[7].

وبشكل عام رغم أن هناك شبه اتفاق على عدم وجود تعريف موحد لها، إلا أنه هناك إجماع على بعض الملامح والمبادئ العامة التي تهتم بها الصحافة الاستقصائية وهي[8]:

- البحث في العمق في المسائل الخطيرة والتي تؤثر على المصلحة العامة.
- المؤسسة الصحفية هي التي تأخذ على عاتقها البحث والكشف عن بعض الحقائق السرية أو المخفية والتي يعتقد أن هناك أناس لا يريدون الكشف عنها.
- إنها عملية طويلة تحتاج للتخطيط والبحث والتنقيب في المعلومات والتأكد من صحتها عن طريق المصادر المختلفة.
- استخدام المهارات للبحث والاستجواب مع المصادر المختلفة.
- يجب أن تبتعد عن المصالح الخاصة لتحوز ثقة الجمهور.
- عادة ما يكون للصحافة الاستقصائية آلية معينة في نشر معلوماتها وتوضيحها للجمهور.

مفهوم التحقيق الصحفي: وهو التحري والبحث والاستقصاء في واقعة أو حادثة أو قضية أو مشكلة ومعرفة الأسباب والدوافع الخاصة بها والاستماع إلى كل الآراء في كل هذه الواقعة أو الحادثة أو القضية قيد التحقيق، قد يصل المحقق إلى إصدار حكم في النهاية ،قد يكتفي بعرض جوانب هذا الواقعة أو الحادثة أو القضية فقط[9].

يقوم التحقيق الصحفي على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية يلتقطها الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه، ثم يقوم بجمع مادة الموضوع بما يتضمنه ويلزمه من بيانات أو معلومات أو أراء تتعلق بالموضوع ثم يزاوج بينها للوصول إلى الحل الذي يراه صالحا لعلاج المشكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها التحقيق الصحفي والتحقيق الصحفي فن يقوم على التفسير الاجتماعي للأحداث وللأشخاص الذين اشتركوا في هذه الأحداث حيث يشرح ويفسر ويبحث في الأسباب والعوامل والاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية التي تكمن وراء الخبر أو القضية أو المشكلة أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق، وكثيرا ما يتصل التحقيق الصحفي بالأحداث الجارية ويرتبط بالأفكار الحية في حياتنا ولذلك فأنه يتسم بالواقعية والحالية، حتى ولو كان الموضوع تاريخيا، بمعنى الزاوية الجديدة أو النظرة المكتشفة حديثا أو التقييم الجديد للحقائق تاريخيا والشخصيات تعطي معاني وأبعادا غير معروفة من قبل. وقد يكون التحقيق إعلاميا أو تفسيريا أو توجيهيا أو ترفيهيا أو تعليميا أو إعلانيا، غير انه في معظم الأحيان يحقق أكثر من هدف واحد من تلك الأهداف. ويتضمن التحقيق الحوار والمناقشة والحديث الصحفي والاستقصاء والبحث والدراسة[10].

بدأت عملية التحري وإعداد التحقيقات الصحفية في بداية القرن العشرين بفضل الجهود التي بذلها المكراكارز(Muckrakers) وتعتبر كتابات العديد من الكتاب مثل كتاب الغابة للابتون سنكلير الذي كشف فيه عن الوسائل غير الصحية في تجهيز وتغليف اللحوم ،أساس أعمال التحريات إعداد التحقيقات الصحفية ، إن جوهر هذا العمل هو البحث فيما تقوم به كل من الحكومة وقطاع الأعمال في جميع قطاعاته ونقاط التقائهما فالتحريات والتحقيقات التي

تمت فيما عرف باسم ووترجيت وما أدت إليه من استقالة الرئيس ريتشارد نيكسون تعد بحق العلامة الفاصلة في إعداد التحقيقات الصحفية[11].

إن التحقيق لا يطرح الموضوع طرحاً عادياً، وإنما يقوم على تفسيرها وتحليلها، وإعطاء مسببات لها، والمساهمة في علاجها وإنهاء آثارها السيئة، ونظراً لأن التحقيق يقوم على البحث عن المجهول خدمة للمجتمع، ودعماً للقانون الذي يسير عليه الناس، فإن اسمه تحقيق مأخوذ من التحقيق الجنائي الذي يؤدي نفس الدور في البحث عن دوافع ارتكاب المخالفات والجرائم، ومعاقبة المذنب، وذلك حماية لحقوق الناس

ومما لا شك فيه أن استخدام هذا الفن يتطلب الحذر الشديد، لأنه يقوم على فضح الأشخاص، وتعرية المذنبين، وأهل الهوى والسلطان، ولأن المسألة على علاقة بسمعة الأشخاص، والهيئات، والمؤسسات، فلا بد من الأدلة الواضحة التي لا شك فيها وإلا عرّض المحقق الصحفي نفسه ووسيلته الناشرة للمساءلة القانونية.

نظرا لأن التقصي يجب أن يبدأ بـــ: لماذا ، ثم: وماذا بعد ، فالغرض الأساسي من التحقيقات الصحفية هو تقديم خدمة للمجتمع وللصالح العام ،تضع السلطة موضع المساءلة ومن ثم تكون القيمة العليا للصحافة قد تحققت[12].

إن الجديد في الصحافة الحديثة هو فن التحقيق الصحفي، وإن كان التاريخ يحدثنا أن التحقيق الصحفي فن قديم في الصحافة الأوروبية، فيذكر لنا عن ديفو أنه أول من اهتدى إلى هذا الفن في الصحافة الانجليزية ثم أتى بعده ثور ثكليف عام 1896 فجعل من فن التحقيق الصحفي ركناً هاماً في صحيفته الشعبية "ديلي ميل"[13].

وتشير الدلالة اللغوية لكلمة "التحقيق" إلى السعي لليقين من الأمور والوقوف على حقيقة الخبر، وهي الدلالة التي تشير إلى تعريب المصطلح "REPORAGE" بفن التحقيق الصحفي، تعريب يعود بهذا الفن إلى وظيفته الجوهرية، في لغتنا العربية وفي اللغات الأوروبية، التي تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريري الذي "يتناول خبرا أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفضيل وسرد البيانات والمعلومات والآراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأي في القضية أو الموضوع المطروح"[14].

ولقد تفاوتت معدلات الصحافة الاستقصائية (التحقيقات الصحفية) على مدى القرنين الماضيين بصورة واضحة، فربما كان هناك آخر نهضة قد حدثت بالفعل في أعقاب الكشف عن أوراق البنتاجون وفضيحة ووترجيت[15].

حتى في حالة إجراء تحقيقات سيئة، فإنها تصبغ الشرعية على دور الصحافة بوصفها مراقبا على عمل الحكومة ورغم أنه من غير المتوقع أن يغير أي تحقيق صحفي العالم مهما كانت درجة تميزه إلا أنه قد يثير الرغبة في التغيير[16].

أما الصحافة الاستقصائية نوع من أنواع التحقيقات الصحفية التي يقصد بها التحقق والاستقصاء والتأكد من المعلومات التي يتم جمعها قبل نشرها، والتي تتناول قضية أو قضايا لا يرغب الآخرون في الاطلاع عليها أو إظهارها إلى الواجهة الإعلامية أو المجتمعية وتهدف في الأساس إلى حماية المجتمع وتحذيره من المخاطر التي تحيط به، مع إيجاد المعالجات التي تهم صانع القرار، فهي رديف أساسي في مكافحة الفساد، وإحدى ثمار الحرية الصحفية في النظم الديمقراطية، والنظم التي تعمل على الوصول إلى درجة مرتفعة من الحكم الرشيد.

وتحدثت صباغ عن منهجية الصحافة الاستقصائية والفرق بينها وبين التحقيق الصحفي موضحة أن «الصحافي الاستقصائي يهدف إلى سرد القصة كما هي وليس كما يرويها الناس ويتوقع المتلقي أن تحتوي على أكبر قدر من الدقة والموضوعية والعمق من مضامين العمل اليومي(التحقيق الصحفي) بأنواعه»[17].

يقول الكاتب اليمنى عمر الحياني أن "الصحافة الاستقصائية" هي نوع من أنواع "التحقيقات الصحفية" التي يقصد بها التحقق والاستقصاء والتأكد من المعلومات التي يتم جمعها قبل نشرها، والتي تتناول قضية أو قضايا لا يرغب الآخرون في الاطلاع عليها أو إظهارها إلى الواجهة الإعلامية أو المجتمعية[18].

ويأتي التحقيق الصحفي مستفيداً من نمطين جديدين من التغطية الصحفية هما التغطية التفسيرية والاستقصائية، وكذلك مفهوم صحافة العمق بحيث يمكننا القول إن التحقيق الصحفي هو الشكل الناتج من توظيف كل من التغطية التفسيرية والتغطية الاستقصائية في العمل الصحفي[19].

ويعد التحقيق الصحفي أحد أشكال الصحافة الاستقصائية القائمة على "توثيق المعلومات والحقائق بإتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة، بحسب شبكة أريج[20].

2-6- الصحافة الاستقصائية، وكيفية تبلورها، ومراحل تطورها:

صحافة التقصي أو الاستقصاء أو العمق هي مصطلح عمره يزيد على نصف قرن في دول العالم المتقدم، وتحديدًا في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وهو يعني: "سبر أغوار الظواهر المجتمعية المختلفة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ومحاولة الوصول إلى عُمقها عن طريق الاستبيان أو دراسة البيانات المتوفرة أو التحقيقات الجنائية أو الحسابية"(مركز الباحث العلمي).

وقد ظهرت الصحافة الاستقصائية مع بداية تطور مفهوم ودور الصحافة في المجتمع واتجاهها في الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة تحدث في المجتمع، خاصة جوانب الانحراف والفساد ونتيجة لذلك سمي محررو هذا اللون بالمنقبين عن الفساد، وقد أطلق هذا الاسم على مجموعة من الصحفيين الذي قادوا حملات صحفية مهمة ضد الفساد، واعتمد هؤلاء الملقبون بالمنقبين عن الفساد في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية وخاضعة لمراقبة الخبراء. وبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة عام 1906، وقد تأسس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين في أمريكا عام 1976 كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، حيث تأسس الاتحاد على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها[21].

وقد أُطلق هذا الاسم على مجموعة الصحفيين الذين قادوا حملات صحيفة مهمة ضد الفساد خاصة عام 1901، حين أدى التوسع الصناعي السريع بعد الحرب الأهلية إلى الكثير من أنواع الظلم وكانت الاحتكارات موضع قلق عام، ورأى فيها بعض المراقبين تحالفا غير سديد بين التجارة والسياسة. واعتمد الصحفيين الملقبين بالمنقبين عن الفساد في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية وخاضعة لمراقبة الخبراء، وبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة عام 1906، ثم بلغت قمة النجاح عام 1911 ، ثم تبددت عام 1912 حيث بدأ الجمهور يبتعد عنها، وكذلك تعرضت الصحف لكثرة الضغوط المالية، مما أدى إلى اختفاء هذا اللون من الصحافة[22].

وتستخدم الصحافة الاستقصائية الآن بشكل متسع في مجالات كشف الفساد في المجتمع وتقديم الرؤية الاستقصائية الشاملة التي لا تستطيع أن تقدمها وسائل الإعلام الأخرى، وقد صاحب هذا نمو متزايد في توظيف الحاسبات الالكترونية لأغراض تصنيف المعلومات والبيانات الكثيرة التي يحصل المحررون الإستقصائيون عليها، وتحليلها بشكل يساعدهم على الوصول إلى خلاصات كمية دقيقة[23].

وقد أصبحت اليوم المنافسة قوية على الصحافة الاستقصائية، في جميع الصحف الأمريكية الكبرى والصغرى التي يوجد بها أقسام وفرق عمل استقصائي، بل عن بعض الوكالات الصحفية الكبرى مثل وكالة "Associated Press" التي استحدثت مؤخراً قسماً خاصاً بالتحقيقات الاستقصائية.

يرجع إلى هذا النوع من الصحافة الفضل في العديد من الإصلاحات التي تمت في المجتمع الغربي، حيث مع مطلع السبعينيات من القرن العشرين بدأت الصحف الأمريكية بشكل متزايد في تشجيع المحررين ذوى الخبرة على التحرر من القصص الروتينية حتى يستطيعوا معالجة القضايا والموضوعات ذات الأهمية التي تتطلب وقتا أكثر وخبرة، حيث لعب المراسلون أدوارا حاسمة في كشف ما يُعرف فيما بعد بأخطر فضيحة في فترة ما بعد الحرب الثانية حيث تابع الصحفيون في واشنطن قرائن خلفتها سرقة في مبنى للمكاتب في "Watergate" وواصلوا تحرياتهم إلى أن أوصلتهم إلى البيت الأبيض، وقد دفعت التقارير الإخبارية الخاصة بالسرقة، الكونجرس الأمريكي إلى بدء تحقيقات أدت في نهاية الأمر إلى استقالة الرئيس الأمريكي،"ريتشارد نيكسون" من منصبه بعد إدانته هو وكبار معاونيه عام 1974، وأشهر المحررين الذين قاموا بالتغطية الاستقصائية، هما كلا من: Bob Woodward et Carl Bernstein، بجريدة: Washington Post.

وقد انتشرت الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة السبعينات من القرن العشرين لأسباب متعددة منها: الدعم المالي الذي حصلت عليه الصحافة في أوائل السبعينات، إذا كان التخطيط لذلك قد بدأ منذ عام 1968 بشكل غير منتظم، وأصبح هناك منظمة أو صندوق مستقل هو Fund Of Investigative Journalism، يموله المؤسسات والأفراد، وقد نجح هذا الصندوق في تمويل أكثر من 60 مشروع تغطية استقصائية خلال الفترة من سبتمبر عام 1971 وحتى سبتمبر 1973، كشفت عن أوجه نشاط قابلة للمناقشة تتصل بالأوضاع المريبة في النشاط الاقتصادي والحياة السياسية، وعن فساد الحكومة.

وفى عام 1976 تأسس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين(Investigative Reporters & Editors) كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، وذلك على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها، وخطط لتطوير مركز للموارد يضع خدمات ونشرة إخبارية عن الموضوعات الاستقصائية إلى جانب دليل للخبراء وبعض الخدمات الأخرى، ومع نهاية عام 1976 شكلت الجماعة فريق عمل صحفي بقيادة محرر جريدة "Newsday" الشهير"Robert Green" لإجراء تغطية استقصائية عن الجرائم التي أدت إلى اغتيال"Ballston" محرر جريدة "Arizona Republic" الذي كان يقوم باستقصاء نشاط الجريمة المنظمة في ولايته أريزونا، حيث وضعت قنبلة في سيارته، ومنذ ذلك الوقت يتعرض الصحفيون المنقبون عن الفساد للخطر من أجل تعزيز الشفافية والحكم المسئول والتصرف المشترك والحد من الفساد، وقد اغتيل ثمانية وستون صحفيا عام 2001، ويرجع سبب اغتيال خمسة عشر صحفيا منهم إلى أعمال استقصاء عن قضايا الفساد.

وتستخدم الصحافة الاستقصائية الآن بشكل متسع في مجالات كشف الفساد في المجتمع وتقديم الرؤية الاستقصائية الشاملة التي لا تستطيع أن تقدمها وسائل الإعلام الأخرى، وقد صاحب هذا نموا متزايدا في توظيف الحاسبات الإليكترونية لأغراض تصنيف المعلومات والبيانات الكثيرة التي يحصل المحررون الإستقصائيون عليها، وتحليلها بشكل يساعدهم على الوصول إلى خلاصات كمية دقيقة وقد ساعد على ذلك انتشار استخدام المؤسسات الحكومية والمؤسسات الخاصة

للحاسبات الإليكترونية في تخزين المعلومات وتصنيفها واسترجاعها مما أتاح إمكانية الحصول عليها بنفقات قليلة أو بدون نفقات على الإطلاق[24].

6-3- أهمية الصحافة الاستقصائية[25]: تنبع أهمية الصحافة الاستقصائية من الوظيفة التي تؤديها، فهي تعد:

1) جزء من العمل الرقابي التخصصي، الذي ممكن أن يصنع رأي عام بين الجمهور خاصة إذا تبنى نتائجه بعض الجهات السياسية ووسائل الإعلام.
2) كاشفة لجرائم وفضائح وفساد الساسة والمسئولين، ويقال في الغرب: "أن للصحافة الاستقصائية قدرة لا تضاهى على ربط مسئولين بجرائم معينة".
3) أداة للوصول للحقيقة(من مصدرها الأصيل)، والوقوف على صدقها من كذبها، تضخيمها من تحجيمها، أداة تعمق فهم الحدث.
4) بوابة مهمة لشروع أجهزة الدولة في فتح التحقيقات في جرائم المال والإدارة.
5) تشكل مركز معلومات المؤسسة، وقاعدة بياناتها.
6) تمثل صحافة العمق، وهو مستقبل الصحافة الحية الناجحة المؤثرة مستقبلاً.

7- الفرق بين الصحافة الاستقصائية والأشكال الصحفية الأخرى:

إذا أردنا أن نعرف الصحافة الاستقصائية فيجب علينا أن نفرق بينها وبين التقارير أو القصص الإخبارية، فالقصص الإخبارية هي عندما تتجاوب المصادر ويردون على استفسارات الصحفي حول الحدث ويمدوه بالتقارير والبيانات، أما الصحافة الاستقصائية فهي استهداف الصحفي لنشاطات سرية أو نشاطات غير عامة وخاصة جداً.

الفروق بين الصحافة التقليدية ونظيرتها الاستقصائية من حيث كيفية التعامل مع المعلومة؛ حيث إن الأولى تقوم بجمع المعلومات وفق إيقاع زمني ثابت كأن يكون يوميا أو أسبوعيًا تكتمل قصتها بحد أدنى من المعلومات المقتضبة ويحل فيها المصدر محل الوثيقة، أما في الاستقصائية فلابد من التأكد من ترابط المعلومات واكتمالها واستمرار البحث وتثبيته بحد أقصى من المعلومات المطولة المدعومة بالوثائق.

أما من حيث العلاقة بالمصدر فان الثقة بالمصدر في الصحافة التقليدية مفترضة ومعلومات مصادرها الرسمية المعرفة مجانية ترويجية، يتوجب على الصحفي قبولها، على عكس الاستقصائية التي لا يمكنها افتراض الثقة بالمصدر بل إن الصحفي يتحدى الرواية الرسمية أو ينفيها بناء على مصادر أخرى مستقلة يتصرف بها لأنها أوفر وأكثر وفي الغالب لا يعرّف بالمصادر التي زودته بالمعلومات.

أما من حيث النتائج فان تحقيقات الصحافة التقليدية الغرض منها فقط أخبار الجمهور بشكل لا يتطلب الانخراط والحماس الشخصي، ويسعى فيه الصحفي أن يكون موضوعيا دون التحيز لأي طرف في القصة التي ليس لها نهاية لان الأخبار مستمرة وقد تكون خاطئة لكنها غير مهمة، بينما في الصحافة الاستقصائية فان القبول بالعالم كما هو أمر مرفوض لان الهدف من القصة هو اختراق وضع معين وتعريته من اجل إصلاح الخطأ وهذا يتطلب انخراطا وحماسا شخصيا يسعى فيه الصحفي للعدالة والدقة في نقل الحقائق يتوخى فيها الدرامية المؤثرة ، غير أن الأخطاء فيها سواء كانت رسمية أم لا، يمكن أن تحطم مصداقية الإعلامي[26].

1) صحافة التخصص: حسب "كابلن": "يعتقد بعض الصحفيين أن كلّ الصحافة الجيدة هي صحافة استقصائية"، إلاّ أن الصحافة الاستقصائية تتطلّب المزيد من البحث بعمق. كما أكّد "كابلن" على أن: "يقوم صحفيو التخصص باستخدام التقنيات الاستقصائية، إلاّ أن ذلك لا يدفع الاثنان إلى الترادف في المعنى والمضمون".
2) الصحافة الناقدة: تأخذ التحقيقات الاستقصائية الكثير من الوقت، فتتطلب أسابيع أو أشهر أو حتى سنوات، "من الممكن أن تتضمّن الصحافة الاستقصائية الكثير من عناصر النقد، وإن قمت بكتابة مقال ما يتطلّب منك المزيد من البحث والتنقيب والنقد فإن ذلك لا يعني أنّك قدمت عملاً استقصائياً،" حسب كابلن.
3) التغطية الصحفية المختصّة بالجرائم والفساد: تعريف الصحافة الاستقصائية كصحافة الجرائم والفساد يحدّ من نطاق السبق الصحفي، على الرغم من اعتقاد كابلن أن هناك بعض التقاطع في هاتين الفئتين. وبحسب قوله: "لكن الصحافة الاستقصائية الجيّدة تركّز على مواضيع التعليم، واستغلال السلطة، والتهافت على الأموال، وقصص الأعمال الرائعة. ولمجرد تغطية الصحفي المختص لمواضيع الجرائم والفساد وملاحقة آخر تطوّراتها، فذلك لا يعني أنه يستخدم أدوات الصحافة الاستقصائية."

7-1- الفرق بين التقرير الاستقصائي والأشكال الأخرى[27]:

التقرير الاستقصائي شكل مختلف اختلافاً بيناً عن الأنواع الأخرى، هنالك أربعة ملامح تميزه:

1) بحث أصيل: التقرير الاستقصائي ليس موجزاً أو تجميعاً لما توصل إليه الآخرون من نتائج ومعلومات ومعطيات، لكنه بحث أصيل يقوم به الصحفيون غالباً بإستخدام المادة الخام، ويمكن أن يكون مقابلة شاملة، أو مطابقة ومقارنة للحقائق والأرقام، واكتشاف أنماط وصلات لم تكن معروفة سابقاً.
2) يشمل الموضوع الخطأ أو الإهمال الذين لم ينشر حولهما دليل دامغ : كثيرا ما تراودك الشكوك بارتكاب خطأ أو وجود إهمال لكنك تفتقد الدليل مثلك مثل غيرك لذلك أنت بحاجة لمراكمة الأدلة، وهذا يتطلب مزيدا من الوقت والجهد الدؤوب مقارنة بما تحتاجه كتابة التقرير العادي، وربما يستدعي ذلك أيضا مشاركة أكثر من مراسل .
3) بعضهم يحاول إبقاء المعلومات سرية : ينطبق ذلك على العديد من التقارير الصحفية، لكن في العمل اليومي هنالك نقطة يتوجب عليك عندها التوقف وكتابة تقرير حول ما وجدته أو لم تجده، كتابة التقرير الصحفي الاستقصائي تبدأ من النقطة التي يتوقف فيها العمل اليومي وهي لا تقبل السرية ولا رفض المسئولين تقديم المعلومات بل تقوم بعملية سبر واستكشاف .
4) الرهان مرتفع وحجم المخاطرة كبير: ما تحصل عليه من مجد وعز عندما تنجح القصة قد يكون عظيما بقدر الضرر الذي يلحق بسمعتك حين تفشل.

7-2- الأشكال الصحفية الاستقصائية[28]:

1) الموضوع الصحفي (موضوع المعالم): هو شكل تستخدمه الصحافة لمواجهة التغطية التلفزيونية المصورة، ويعرف الموضوع الصحفي بأنه أي مادة صحفية إخبارية فيها نوع من الإبداع والابتكار، ويتضمن حدثاً أو موقفاً من الحياة قابلاً للاستمرارية، ويمكن الحصول على معلومته، ومن ثم نشرها في أي وقت حيث أنه لا يرتبط بالآنية؛ لأنه يتجاوز التفاصيل إلى التفسير والتحليل، ويضعها في إطار إنساني.

2) الحديث الصحفي: هو الشكل الصحفي الذي يتجه فيه المحرر إلى بعض الأشخاص للحصول على أفكارهم وآرائهم، أو عرض معلومات يملكون تفاصيلها، أو إلقاء الضوء على شخصياتهم، وهو يحقق الإخبار والحصول على آراء بعض أهل الخبرة، والتسلية والإمتاع.

3) التحقيق الصحفي الاستقصائي: يقصد به: التحري أو البحث أو الاستقصاء في واقعة أو حادثة أو قضية أو مشكلة تهم الجمهور أو بعضاً منه، ومعرفة الأسباب والدوافع الخاصة بها، والاستماع إلى كل الآراء في هذه الواقعة أو الحادثة أو القضية محور التحقيق، والاستعانة بالمصادر المختلفة المتصلة بالموضوع سواء كانت حية أو غير حية، وإجراء سلسلة من اللقاءات والبحث في الوثائق والتقارير والملفات، وقد يصل المحرر من خلال عرض مختلف الآراء إلى إصدار حكم في النهاية أو إيجاد حل للمشكلة، وقد يكتفي بعرض ذلك.

8- آليات العمل الصحفي الاستقصائي:

8-1- قواعد الصحافة الاستقصائية[29]:

1) انتقاء الأخبار والانطلاق من خبر حقيقي قيم بعيداً عن الخداع والأكاذيب والقصص المزعومة.

2) يتعين على الصحفي الاستقصائي أن تكون عيناه وأذناه مفتوحتين دوماً، لالتقاط كل خبر وكل معلومة، ويجب عليه أن يستمع لكل ما يدور حوله، ولا يدع أي قصة تفلت منه.

3) جمع الحقائق المخفية ذات الصلة بموضوع الاستقصاء والتأكد من صحتها.

4) ربط الحقائق بعضها ببعض، والتأكد من أنها تشكل معاً أمراً ذا قيمة ومعنى.

5) ضرورة التحقق من الوقائع والمعلومات والتأكد من صحتها، ويجب على الصحفي الاستقصائي أن يعلم أن تلقي المساعدة في الصحافة الاستقصائية غير متوقع؛ لذلك يجب الابتعاد عن استخدام أية واقعة إلا بعد التأكد جيداً من صحتها ودقتها.

6) يتعين على الصحفي الاستقصائي الاعتماد على أدلة متعددة وملموسة في ذات الوقت، وألا يقتصر على جمع الحقائق، بل يجب جمع الأدلة التي تدعم هذه الحقائق وتؤكدها.

7) يجب الحفاظ على سرية المصادر وحمايتها ما دام ذلك ممكناً.

8) لا يجب أن يقف الصحفي الاستقصائي صامتاً إذا ما تلقى تهديداً، حيث إن كثيرين من المعنيين بتقييد الصحافة الاستقصائية سيسعون لوقف الصحفي الاستقصائي عن إنجاز مهمته، وقد يتلقى في هذا الصدد تهديدات عدة، ومن الضروري إبلاغ المؤسسة، وتقاسم عبء القلق معها؛ حيث سيشكل ذلك حماية إضافية، عدا عن إمكانية الاستفادة من الشاهد على التهديدات في القصة عند إنجازها.

تعمل الصحافة الاستقصائية في إطار القانون، وخلافاً لرجال الشرطة لا يمكن للصحفي الاستقصائي أن يستمع لمكالمات الآخرين، أو أن يسجلها دون علمهم، ولا يمكنه دخول مباني دون موافقة مالكيها أو ضد رغبتهم، و يجب أن يعمل الصحفي الاستقصائي في حدود القانون، وأن يبتعد عن استخدام الأساليب غير الأخلاقية للحصول على معلومات.

8-2- مراحل العمل الاستقصائي[30]:

المرحلة الأولى: الكشف عن قضية أو موضوع: اختيار قضية ليتم استقصائها تتطلب عملية رصد وفهم عام لكل متعلقات القرارات السياسية والاقتصادية والشئون العامة ، أي الثقافة الموسوعية لكل متعلقات التغيير، ليس فقط في الجانب

المعلوماتي بل والقدرة على ربط الأحداث واستنباط مجاوراتها من الظواهر ،ثم تحديد القضية أو الموضوع أو الظاهرة،فالمادة موجودة في كل مكان والمشكلة هي في رؤيتها ، وتوجد طرق عديدة لاستشعار قصة تستدعي الإستقصاء، تتمثل إحدى هذه الطرق في مراقبة وسائل الإعلام ، فبشكل عام من الأفكار الجيدة مراقبة قطاع إعلامي معين كي تستطيع البدء بتحديد أنماطه فتدرك بذلك متى يحدث أمر غير عادى ، إذا أنهيت قصة وفكرت لماذا حصل ذلك ؟ فسيكون حظاً جيداً في أن تجد المزيد لتستقصيه ، وتتمثل طريقة أخرى في انتباهك لما يتغير في بيئتك، وأن لا تعتبر التغير أمراً عادياً .

فقد بدأ الإعلامي البلجيكي الكبير كريس دو ستوب "Chris de stoop" إستقصاءً معلماً حول الاتجار بالنساء بعد أن لاحظ أن العاهرات البلجيكيات في حي عبره وهو في طريقه إلى عمله قد أفسح المجال لعاهرات أجنبيات ، وتسأل لماذا؟ ، وتتمثل الطريقة الثالثة في الاستماع غلى شكاوى الناس في كل مكان يجتمع الناس فيه سوف تسمع أشياء غريبة أو صادمة أو مدهشة، وترتبط بالقضية مجموعة من التساؤلات: لماذا هذه القضية دون غيرها من القضايا؟ ماذا سأضيف في عملي الإستقصائي لهذا الموضوع؟ من المستفيد؟ من المتضرر؟ هل هناك قاعدة معلومات أو بيانات؟ وكيف سأصل إلى الحقائق وبأي طريقة؟ هل التناول يثير إشكالية قضائية؟ من هم الخبراء المساعدون؟ هل أنا مستعد للإجابة والتبرير والإثبات بوثائق وأسانيد كافية ومنعة؟ هل تثير القضية الرأي العام ايجابيا؟ وكم ستتكلف مؤسستي مادياً؟ كم من الوقت ستستغرق عملية التقصي والكشف وربط الأحداث والتحرير؟ بأي شكل تحريري سأتناول الموضوع ؟

المرحلة الثانية:طرح فرضية للتحقق منها: استخدام الفرضيات جوهر الأسلوب الاستقصائي حيث تطرح أسئلة محددة يجب الإجابة عنها من خلال تقطيعها إلى محاور أو أجزاء ثم التثبت من كل واحد من تلك الإدعاءات على حده. وطرح الفرضية يحقق المزايا التالية:

- يمنحنا شيئاً لنتحقق منه بدلاً من محاولة كشف سر ما.
- تزيد الفرص في اكتشاف الأسرار.
- تجعل إدارة مشروع الاستقصاء أكثر سهولة.
- أدوات يسهل استخدامها بكثرة.
- تضمن كتابة قصة وليس فقط كمية من المعلومات.

المفاتيح الأربعة لتفعيل الفرضيات :

1) كن خلاقاً: الاستقصاء هو محاولة لكشف شيء غير معروف إلى الآن وفيها الصحفي لا يغطى أخباراً فحسب بل يصنعها أيضاً ولذا فهو يقوم بقفزة إلى مستقبل غامض ، مما يتطلب محاولة تخيل القصة وهذا عمل إبداعي بحد ذاته.
2) كن محدداً للغاية: فكلما كنت أكثر دقة في تحديد حقيقة مفترضة ، كلما كان لك أسهل التحقق منها.
3) استخدم خبرتك: فالخبرة يمكن أن تكون من عوامل سرعة الانتهاء من الفرضية.
4) كن موضوعياً: وتعنى الموضوعية ثلاثة أشياء ، قبول واقع الحقائق التي يمكن أن نثبتها، وقبول الخطأ، الاستعداد لطرح فرضية جديدة.

ويتطلب أسلوب الفرضيات لعمل مشروع استقصائي الأمور الآتية:

أ) التسليم. ب) معالم زمنية مرتبطة بالعملية. ج) التكلفة والمردود. د) التأييد: من خلال طرح أسئلة حول من ستهمه هذه القصة، كيف يمكن زيادة وعى الجمهور بالقصة، هل سيشمل ذلك تكاليف إضافية ، ما هي الفوائد التي ستجنيها أنت أو مؤسستك الصحفية من هذا الاستقصاء؟

المرحلة الثالثة:الحصول على معلومات من مصادر علنية وبشرية للتحقق من الفرضية: في العالم المعاصر تكثر المصادر العلنية بما لانهاية لها وتشمل المعلومات التي نشرت في أي وسيلة إعلامية يسهل الوصول إليها بحرية مثل وسائل الإعلام من صحف ومجلات وتليفزيون وراديو وإنترنت ، ومنشورات متخصصة، وكالات الأنباء، إدارات الإعلام بالقطاعات المختلفة، كما توجد المعلومات الأكثر إثارة عادة في ذاكرة وعقول الناس وليس المصادر العلنية وهو ما نطلق عليه المصادر البشرية ، الأمر الذي يتطلب من الصحفي سؤال نفسه من أين نعثر على هؤلاء الناس؟ وكيف نجعلهم يقولون لنا ما يعرفونه ؟ وعلى الصحفي عدم التقليل من هذه المهارات، فليس كل صحفي يمتلكها، وعمل الصحفي الاستقصائي سوف يطور هذه المصادر إلى درجة عالية بشرط عدم إساءة استخدامها .

المرحلة الرابعة: التنظيم: يتطور العمل الاستقصائي إلى مادة أكثر بكثير مما تنتجه الأخبار التقليدية ، لذا يجب أن تكون هذه المادة منظمة بفاعلية على أسس مستمرة وهذا العمل التنظيمي هو جزء من عملية منهجية للكتابة والنشر ، والتنظيم الاستقصائي هو التأكد من أنك تعرف أي نوع من التوثيق الذي لديك ، والمعلومات التي تحتوى عليها الأصول ، وأنك تعرف مكان أصل معين وتستطيع أن تجده بسهولة ويسر ، ولهذه العملية جزءان ، الجزء الواضح أنك تبنى قاعدة معلومات أو أرشيفاً تستطيع البحث فيه بسهولة ، والجزء الثاني الأقل وضوحاً هو أنك خلال بناء قاعدة المعلومات تكون في طور بناء قصتك وثقتك بها.

المرحلة الخامسة: كتابة الاستقصاءات: تختلف كتابة الموضوعات الاستقصائية عن الكتابة الصحفية العادية ، ففي هذه المرحلة تتطلب مهارات مختلفة وقواعد مختلفة من خلال استخدام قواعد السرد الأكثر تعقيداً ، الأمر الذي يتطلب من الصحفي ألا يكون مملاً حيث الإيقاع المبسط مفتاح الكتابة الاستقصائية، وتجنب خطر الشك ، ولا تلوث الاتهامات الجادة بأخرى تافهة، وبوجه عام يجب أن يلتزم العمل الاستقصائي المحرر بثلاثة معايير أساسية هي: التماسك ، والتكامل، والحركة.

9- الصحافة الاستقصائية في الدول العربية:

تأخر نشوء الصحافة الاستقصائية في الدول العربية لأسباب وعوامل عديدة، فالصحافة الاستقصائية لا يمكن أن تنشأ إلا في ظل قدر كافٍ من الديمقراطية التي توفر الحماية للصحافة والصحفيين، وحتى أواخر القرن العشرين تقريباً، كانت معظم الدول العربية تعاني من ضعف المنسوب الديمقراطي في أنظمتها السياسية والتشريعية خصوصاً ما تعلق منها بحريات النشر والتعبير والحصول على المعلومات، مما لم يوفر الشروط اللازمة لظهور تحقيقات استقصائية يُعتد بها[31].

وقد أشار بعض الباحثين، إلى أن الصحافة الاستقصائية عُرفت في بعض الصحف المصرية منذ أواخر الأربعينيات وحتى خمسينيات القرن الماضي، إذ قدم الصحفي "إحسان عبد القدوس" عام 1949 تحقيقاً صحفياً استقصائياً فجر فيه "فضيحة الأسلحة الفاسدة" التي تم تزويد الجيش المصري بها في مواجهته مع الكيان الصهيوني الناشئ في فلسطين عام 1948. وتشير دراسة أكاديمية حديثة إلى أن صحافة الاستقصاء في مصر تعرّضت للخفوت خلال عقود الخمسينيات والستينيات، وإن كانت قد عاودت محاولة اكتساب أرضية لها مع عودة العمل بنظام التعددية الحزبية في مصر عام 1976، ورفع

الرقابة الرسمية التي كانت مفروضة على الصحف، ولكن مصطلح الصحافة الاستقصائية بدأ مؤخراً -منذ 2009– بالبروز كمصطلح على الساحة الإعلامية المصرية والعربية، بعد ظهور مؤسسات متخصّصة في دعم الصحافة الاستقصائية كـــ"مؤسسة هيكل للصحافة العربية"، وشبكة "إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية"، إضافة إلى اهتمام مراكز دولية بنشر ثقافة العمل الاستقصائي في البيئة الإعلامية على المستوى الدولي كـــ"المركز الدولي للصحفيين"[32]. وأشار عبد الرحمن سعد إلى التحديات التي تواجه الصحافة الاستقصائية في مصر، وهي تماثل ما هو موجود في باقي الدول العربية الأخرى، وهي كما يأتي: 1) محدودية ثقافة العمل الاستقصائي بالوسط الصحفي. 2) عدم وجود بيئة مشجعة على فن الصحافة الاستقصائية. 3) غياب المعلومات وحجب الوثائق. 4) غياب العمل الجماعي. 5) عدم تعاون المسئولين مع الصحفي الاستقصائي. 6) ضعف تأثير الصحافة الاستقصائية في الرأي العام[33].

لم يعرِف العالم العربي هذا النّـــمط الخاص جدّا من الصحافة، إلا في السنوات الأخيرة وبقدْر هامِـــش الحرية المُـــتاح في كل دولة، ما جعل المشهَـــد مُـــتشابهاً في معظم البلدان العربية. ومنذ العام 2005، سعى إعلاميون عرب لإرساء صحافة استقصائية عربية وشكّـــلوا من أجل ذلك شبكة أريج (ARIJ)، وكبداية فقد اقتَـــصر على الأردن وسوريا ولبنان، ثم توسّـــع لاحقا ليشمَـــل فلسطين، مصر، العراق، البحرين، اليمن وتونس، وتقدم الشبكة خدماتها للإعلاميين في الصحافة المطبوعة، الإذاعات، قنوات التلفزة وأيضا الإعلام الإلكتروني في مناطق انتشارها. وفي عام 2010، أطلقت أريج والمركز الدولي للصحافيين برنامجا طموحا لتأسيس صحافة الاستقصاء من خلال تأسيس خمس وحدات متخصصة في الأردن، فلسطين ومصر واستطاعت الشبكة، وهي تسعى لتغطية المناطق الأخرى أيضاً، كذلك استطاعت أريج أن تجمع في مؤتمرها الثالث (نوفمبر 2010) في عمّـــان ثلاث مئة صحفي يُغطّـــون المنطقة الممتدّة من عُمان إلى موريتانيا، لترسيخ فنّ الإعلام الاستقصائي في بلدانهم[34]. توفر أريج تدريبات مكثفة في عدّة مسارات تساعد الصحافيين الشباب متعددي المهمات من توظيف العالم الرقمي في صحافة الاستقصاء. وتعاونت أريج -إضافة إلى مؤسسات دولية أخرى- مع معهد الصحافة وعلوم الأخبار بجامعة منوبة التونسية في اعتماد أول مساق ماجستير في صحافة الاستقصاء في العالم العربي. ويذكر أن شبكة أريج تتلقى دعما من برنامج دعم الإعلام الدولي (IMS) في الدنمارك، ووكالة التنمية الدولية السويدية (SIDA)، ووزارة الخارجية النرويجية، والسفارة الهولندية في عمّان ومؤسسة المجتمع المفتوح (FOSI)، هذا إضافة إلى بعض مؤسسات القطاع الخاص المحلية[35]. وعقدت شبكة أريج مؤتمرها السادس للصحافة الاستقصائية في عمان (6-8 ديسمبر 2013) وقد تخلله عدد من ورشات العمل وعروض لبعض الأعمال الاستقصائية وجلسات نقاشية بين الصحفيين، وقد نظم المؤتمر بمشاركة 350 صحفياً و (30) خبيراً عربياً وأجنبياً التقوا ضمن (35) جلسة بين ورشة تدريب وحلقة نقاشية تحت شعار "دور الإعلاميين العرب في المرحلة الانتقالية: من حليف للسلطة إلى رقيب عليها"، وعالجت الجلسات مختلف جوانب العمل الاستقصائي من حماية المصادر والبيانات من الاختراق في عصر المعلوماتية، والحفاظ على استقلالية المهنة في ظل هيمنة رأس المال وحماية قارعي الناقوس whistle-blowers.[36]

وفي العراق ظهرت شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج/NIRIJ)، وهي أول شبكة للصحافة الاستقصائية في العراق، تأسست بجهود نخبة من الصحفيين الاستقصائيين المحترفين في 9 ماي 2011. وعملت منذ تأسيسها على توفير الدعم التحريري والمالي والاستشاري للصحفيين الاستقصائيين العراقيين، لإنجاز تحقيقات معمقة تستند إلى البحث عن

الحقائق الموثقة والمدعومة بالمصادر المتعددة وثيقة الصلة بالموضوع قيد الكشف. وتتلقى شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج) التمويل والدعم من منظمة انترناشونال ميديا سبورت (IMS).

في باقي الدول العربية الأخرى، برز الاهتمام مؤخرا في الصحافة الاستقصائية من خلال بعض الصحف أو المراكز الأكاديمية والتدريبية الاهتمام أو من خلال بعض الصحفيين بشكل فردي، لكن تلك الجهود ما تزال دون مستوى العمل المنهج المستمر المرتكز إلى مؤسسات دائمة إلا القليل منها[37].

10- خلاصة:

قد تكون "الديمقراطية الآنية" أهمَّ المساهمات التي تُقدِّمها الصحافة الاستقصائية عبر دورها الرَّقابي بضوابطه المعيارية على أداء المؤسسات والمنظمات والهيئات والفاعلين في مواقعهم المختلفة، ونسق الممارسة الديمقراطية عمومًا، وهو الدور الذي يكتسب قوته وفاعليته من المعرفة الحفرية العميقة التي يُنْتِجُها نموذج العمل الاستقصائي من خلال التحقيق والتَّحرِّي والبحث بقواعده العلمية والمهنية لإطلاع الرأي العام على الحقائق والمعلومات التي تسعى جهات بعينها إلى التَّستُّر عليها وإخفائها .

وبفعل الوعي الذي تُشَكِّله هذه المعرفة وبعدها التنويري في المعالجة الاستقصائية، فإنها تصبح سلطة معرفية تكتسب حُجَّتَها ومَرْجِعِيَّتها في المجال العام باعتبارها مصدرًا كاشفًا لأداء الأفراد والمؤسسات والهيئات، لذلك تهيمن على الرأي العام ويصعب تجاوزها، بل قد تكون أيضًا مصدرًا للنقاش والتفاوض بين مختلف الفاعلين وحشد الجمهور وتعبئته من أجل تغيير مظاهر الخَلَل بعد أن تكون وضعت القضية محل الاستقصاء ضمن أولويات أجندة الجهات التي يهمُّها الأمر، وقد تفتح كذلك مسارات قانونية وقضائية بشأنها، وهو ما يُؤَثِّر بشكل من الأشكال في الممارسة الديمقراطية وآلياتها وإِنْ كان هذا لا يعني مسؤوليتها عن التغيير، الذي يظل أمرًا مُعَقَّدًا يتجاوز دور الصحافة الاستقصائية أو الإعلام عمومًا.

الهوامش

[1]أبو حشيش حسن (2012): الصحافة الاستقصائية.

[2]الخطيب براء (2010): موقع اليوم السابع، الصحافة الاستقصائية: العفريت الذي انطلق من قمقم الديمقراطية، رابط الموضوع: http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=216990

[3]هنتر مارك، هاتسون ونلز (2009): على درب الحقيقة، دليل أريج للصحافة العربية الاستقصائية، المكتبة الوطنية، عمان، ص17.

[4]صحيفة الوسط (2010): «الصحافة الاستقصائية» أفضل وسيلة للوصول إلى قلب الحقيقة، رابط الموضوع: http://www.alwasatnews.com/2741/news/read/377262/1.html

[5]القرني علي بن شويل (2012): الاستقصائية الغائب الحاضر في الإعلام العربي، منتديات ستار تايمز، رابط الموضوع: http://www.startimes.com/?t=31036743

[6] شبكة الصحفيين الدوليين، أربعة أمور لا تنطبق عل الصحافة الاستقصائية، رابط الموضوع: http://arij.net

[7]مدونة أنا حُرة (2013): ما هي الصحافة الاستقصائية، رابط الموضوع: http://anahora.blogspot.com/2013/01/blog-post_29.html

[8]أبو حشيش حسن (2012)، مرجع سبق ذكره.

[9]أبو حشيش حسن (2006): فن التحقيق الصحفي في الصحافة الفلسطينية، ط1، غزة، فلسطين، ص13.

[10]الحسن عيسى محمود (2011): المقابلة والتحقيق الصحفي، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ص75.

[11]محمود عبير أسعد (2012) : التحقيق الصحفي ،ط1 ،دار البداية ، عمان، ص127.

[12] أبو حشيش حسن (2006)، مرجع سابق، ص15.

[13]حمزة عبد اللطيف (1956): المدخل في فن التحرير الصحفي، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص435.

[14]شرف عبد العزيز (2000): الأساليب الفنية في التحرير الصحفي، بدون طبعة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص3011-312.

[15]شامان جين، نوتول نك (2012): الصحافة اليوم، ترجمة أحمد المغربي، الطبعة العربية الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ص100.

[16]محمود عبير أسعد (2012)، مرجع سبق ذكره، ص129.

[17]صحيفة الوسط (2010)، مرجع سبق ذكره.

[18]الخطيب براء (2010)، مرجع سبق ذكره.

[19]علم الدين محمود (2010): ضوابط التحقيقات الصحفية الأمنية، ط1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ص25.

[20]قطيشات محمد (2009): مقومات الثقافة القانونية للإعلاميين، على درب الحقيقة، دليل أريج الصحافة الاستقصائية العربية، بدون طبعة، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، ص156.

[21]أبو حشيش حسن (2012)، مرجع سبق ذكره.

[22] عبد الباقي عيسى (2010): الصحافة الاستقصائية، موقع الصحفي العربي، رابط الموضوع: http://www.alsahfe.com/News-428.htm

[23]نقابة الصحفيين الموريتانيين (2010): الصحافة الاستقصائية، رابط الموضوع: https://www.aswat.com/files/Investigative%20Journalism-%20AR.pdf

[24]عبد الباقي عيسى (2010)، مرجع سابق.

[25]أبو حشيش حسن (2012)، مرجع سابق.

[26]أبو حشيش حسن (2012)، المرجع السابق.

[27]حمود عبد الحليم (2010): الصحافة الاستقصائية الفضيحة الكاملة، ط 1، دار المؤلف، مركز الدراسات والترجمة، بيروت، لبنان، ص29.

[28]أبو حشيش حسن (2012)، مرجع سابق.

[29]أبو حشيش حسن (2012)، نفس المرجع.

[30]عبد الباقي عيسى (2010)، مرجع سبق ذكره.

[31]أبو الحمام عزام (2014): المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع.

[32]ربيع حسين محمد (2013): الصحافة الاستقصائية كنمط مستحدث في الصحافة العربية: دراسة للواقع والإشكاليات مع رصد توجهات النخب المهنية والأكاديمية لمستقبل هذا النمط في الصحافة المصرية" (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنيا، مصر).

[33]عبد الرحمن سعد (2009): تحديات تواجه الصحافة الاستقصائية في مصر، جريدة الأهرام، النسخة الإلكترونية: https://www.ahram.org.eg/NewsQ/209042.aspx

[34]موقع شبكة أريج (2013): على الإنترنت على الرابط: http://arij.net

[35]موقع شبكة أريج، نفس المرجع.

[36] أبو الحمام عزام (2014)، المرجع السابق.

[37]أبو الحمام، عزام (2014)، المرجع السابق.